ماذا أطالع في عزلتي

لغليوم الثاني امبراطور المانيا سابقاً

لا يدرك الرجل قيمة الكتب الا حين يُقضى عليه بان يمكث في عزلة تمرُّ به الدقائق والساعات كأن الدهر موثق لا يسير ، او حين ينتظر حدوث حادث خطير تدور عليه كل آماله . فلما كنت في بوتسدام كانت شؤون الامبراطورية تمنعني من الغوص على لآلئ المعاني في بحار الكتب مع اني تثقفت كواحد من آل هوهنزولرن بآداب الالمان الحديثة تثقيفاً كاملاً . ولما انتظمت في سلك الجيش طالعت كثيراً من الكتب الحربية وتبعاً لارادة والدتي كنت اطالع الكتاب المقدس فكان من الاركان التي بني عليها تثقيف عقلي وتهذيب نفسي

فلما وضعت الحرب اوزارها وجئت الى دورن بدأت ادرك ادراكاً صحيحاً قيمة الصداقة الادبية التي تمكنت اواصرها بيني وبين اصحاب المؤلفات التي اطالعها . فانا مدين لكثير من المؤلفين الراحلين بساعات من السرور الذي لا قرار له كنت اقضيها في مطالعة الكتب التي خلفوها لهدي الناس وتهذيبهم

وكثيراً ما يتعود الطفل ان يلذّ له نوع خاص من الكتب يحببه اليه معلموه والقائمون على تهذيبه فيبقى هذا النوع من الكتب احب اليه من غيره في شبابه وكهولته . لذلك احسب كتاب الجنرال فريدرك فون برنهاردي الذي عنوانه « السيطرة العالمية وسقوطها » احبّ كتاب اليّ . وارجو ألاّ يحمل هذا التصريح على غير محمله الصحيح او يؤوّل بما لم يقصد منه بعد كل الحوادث التي حدثت وتركتني هنا منفيًّا بحالك السبب التي يفعمني الحزن والاسى . فان كتاب برنهاردي كان يشوقني منذ صباي [illegible] كثيراً من صفحاته الأخاذة مراراً لا بل قرأت بعضها ما يزيد على اثنتي عشرة مرة

اما الروايات فلا اطالعها اذ لا تسبيني وقائعها . لاني ارى ان حوادث الحياة على ما هي في حقيقتها افتن لب القارىء من مبتكرات الخيال . اعطني كتاب « سبيل الارادة الى الدرة » تأليف بيتشه او كتاب « فلسفة معارك فردرك الكبير » واني قانع بان امكث مع العظماء في ساعات مجدهم وخذلانهم . كذلك لا تشوقني الآداب العصرية وانا من الذين يرون ان عصر الآداب الخالدة قد انقضى . اني العالم اليوم رجل يكتب

كتاباً من طبقة كتاب غروشوس « تاريخ كامل لرومية القديمة » او من طبقة كتاب « بروسيا ضد اوربا » الذي وضعهُ كارل بليترن ؟

واذا نظرنا الى الآداب الانكليزية التي احترمها احتراماً عظيماً هل نجد بين كتاب الانكليز المعاصرين كاتباً يقدر ان يبني عبارة او يصف خاطراً كما كان يفعل تشارلز دكنز او وليم ثكري ؟ وهل من شاعر بينهم ينظم كبيرون ؟ لا شك ان هذا العصر عصر واقعي ونزعتي الادبية المتفوقة واقعية ، ولكني مع ذلك لا اعرف كاتباً في شعب من الشعوب — اذا استثنينا كاتباً وكاتبين — نستطيع ان نقرنهُ الى اعلام الادب السابقين

هذا كتاب « حياة نبوليون » اطالعهُ الآن لان سيرتهُ تشبه سيرتي من وجوه كثيرة فلما اني نبوليون قرأت سيرة يوليوس قيصر في منفاهُ . وانا اقرأ سيرة نبوليون . ومن يدري الا يوجد رجل آخر بعد قرن من الزمان يُنفى فيطالع سيرتي وسيرة نبوليون معاً . ولقد تعلمت كثيراً من اللغات الحية فاتسع امامي ميدان المطالعة وانا احب الاداب الفرنسوية واوثر مطالعتها في المساء فتريح اعصابي بعد مطالعة الكتب الالمانية او الانكليزية التي لها مقام خاص عندي . ولديَّ تاريخ الحرب الفرنسوية البروسية وهو من اعزّ اصدقائي

قلت : اني لا اطالع روايات على الاطلاق ولكن يجب ان اصحح هذا القول اذ الواقع اني لا اطالع الروايات العصرية فقط . ولكن حين اتنزهُ مشياً على الاقدام اتأبط احد روائي فرلسا كيفو او جول ڤرن وقد اقضي ساعة كل اليوم اطالع كتب دكنز في الاصل الانكليزي . ومن الكتاب المعاصرين الذين تطيب لي مطالعتهم رد كبلنغ

اما كتب السير والترجمات فمن احب الكتب الي وعندي ان كتاب المرحوم لندي لي في سيرة « الملك ادورد السابع » افضل ما كتب في سيرة « صانع الملوك » . والكتاب الذي يحتوي على رسائل الملكة فكتوريا يلذ لي بنوع خاص لانها جدتي لامي

واري ان كتب السير التي تكتب الآن ليست من المؤلفات الخالدة في هذا النوع من الادب لان اكثرها يُعنى عناية خاصة بالصغائر في حياة المترجَم وهذا كاف لان يقضي عليها . على اني اطالع الجرائد بشغف وهي اعلق بالناس من اكثر الكتب . ولعل سبب ذلك اهتمامي الخاص بشؤون الامم . ولولا اصدقائي الديدين — اشارة الى كتبهم — الذين يحبهم معي الى منفاي لكان بقي هذا جهلاً تاماً . ولكني اسي في صحبتهم اني رجل نفي من بلاده او ملك قد ثلَّ عرشهُ